

مالك بن نبي أدرك أزمة الأمة الفكرية  
حاوره: جمال ساملي

djamel72-dz@maktoob.com

على هامش فعاليات الملتقى الدولي الأول حول التنمية الواقعية في الجزائر بين الممارسة والفكر المنتج، الذي نظّمته جامعة عنابة، وفي إقامته بفندق الأمير وسط مدينة عنابة، حاورت الشهاب ضيف الجزائر الدكتور مظهر سامر قنطقجي مستشار خاص في مركز الدكتور سامر بمدينة حماة السورية، والذي شارك في هذا الملتقى الدولي بمحاضرة نوعية قيمة عن النظرية التنموية في فكر ابن خلدون و مالك بن نبي.

## 1 / بداية لماذا ابن خلدون ومالك بن نبي بالذات دون غيرهما من منظري التنمية في العالم؟

يشكل فكر العالمين (ابن خلدون) و (مالك بن نبي) محور اهتمام كثير من الكتاب والباحثين لما يكتسبه هذا الفكر من عمق وأهمية، فأفكارهما هدفت إلى تسليط الضوء على مسيرة المجتمع الإسلامي قديماً وحديثاً ببيان مكان الصحو والقوة فيه وتسلط الضوء على نقاط الضعف التي تحد نشاطه وتشل فاعليته، فأعطت أفكارهما بديلاً يمكن من الوصول إلى ما سماه (ابن نبي) مرحلة الإقلاع الحضاري. لذلك فلا نزع أننا نقوم بطرح نظرية تنموية جديدة، لكن نحاول إعادة تسليط الضوء على إسهامات العلامة (ابن خلدون) وفضله في هذا الاتجاه منذ أكثر من 600 عام إضافة إلى ما أسهم به العالم (ابن نبي) في تجديد الرؤية حول قدرة المجتمع الإسلامي بالقيام بالاقتصاد العالمي بما ينفع الإنسانية بجدارة من خلال فهم الاقتصاد من خلال الإنسان لا العكس، ورغم ما بين العالمين من زمن فإن ما جمعتهما من بيئة مغربية إضافة إلى الإسلام والعروبة يفسر كثيراً من تلك الأفكار المشتركة.

لذلك لا بد من تمحيص فكر هذين الرجلين العبقريين في مجال التنمية وإعادة صياغته على ضوء المعطيات الجديدة في ظل فشل الكثير من التجارب التنموية التي انتهجتها الدول العربية، تلك التجارب المستقاة من التجارب الشرقية والغربية دون النظر في تاريخها العريق وبما لديها من كنوز على رفوف المكتبات، وانتشار اقتصاد العولمة والاتفاق الدولي بضرورة معالجة مشاكل الفقر والبطالة والتلوث البيئي وتصحر وما رافق الحضارة الغربية من مشكلات من خلال تجمع دولي وهذا ما وصل إليه العالم في مؤتمر الأرض عام 1992 وما تلاه من مؤتمرات.

## 2 / ما الذي يجمع بين هذين العالمين في مجال التنمية؟

إن الأفكار التنموية المشتركة لدى (عبد الرحمن بن خلدون) و (مالك بن نبي) تصب في اتجاه واحد، فعلى الرغم من أن ابن نبي أخذ من فكر أستاذه عبد الرحمن بن خلدون، إلا أنهما في النهاية نهلا من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وما تزال أفكار (ابن خلدون وابن نبي) واصفة لأحوال العالمين العربي والإسلامي وصالحة للتطبيق في وقتنا، كما يشترك المفكران في أن العوامل الأخلاقية تلعب دوراً هاماً في الاقتصاد عموماً وفي وضع نظرية تنموية خاصة بالمجتمع الإسلامي عامة والمغربي خاصة، وبناء عليه فإن تصوّر العالمين للنظرية التنموية من خلال التوازن الأخلاقي والاقتصادي، أساسه الإنسان بوصفه عنصر التغيير السلبي والإيجابي إذا أُحسن توجيهه لاستغلال واستثمار موارد البلاد بشكل عقلائي.

لقد حاولت التحقق من وجود نظرية للتنمية بشكلها العام والتنمية الاقتصادية بشكل خاص عند مفكرين رائدين من مفكري الإسلام، الأول صاحب سبق في كثير من النظريات في الاقتصاد والاجتماع والسياسة وهو عبد الرحمن بن خلدون، والثاني رائد زمانه في الفكر النهضوي وهو مالك بن نبي، وقد استهدفت توضيح المصادر المتعددة التي تناولها كل من ابن خلدون وابن نبي في تناول النظرية (شرعية أو أخلاقية أو علمية) وإثبات أن أفكار ابن خلدون

وابن نبي وإن تباينت بعض مصادرها واشتركت في مصدرها الشرعي إنما تصب في اتجاه كونها صالحة للتطبيق في أيامنا الحالية.

### 3 / هل يمنع وصف ابن نبي بأنه ابن خلدون عصره من وجود نقاط اختلاف بينهما؟

طبعاً لا، فرغم أن ابن نبي يصنّف على أنه من الذين واصلوا الجهد الخلدوني، وهو ما يجعل الفكرين يلتقيان في الكثير من النقاط، ومع ذلك فهناك نقاط اختلاف على غرار أن ابن خلدون أرسى منظورا عمرانيا في لحظة تاريخية لم تكن تسعها ثورات معرفية كما حصل اليوم وكذلك في عصر ابن نبي، وظل الفكر الخلدوني يتيما وغريبا لم يسعفه النسق المعرفي، وظل إشارات مبهمة لم يستبصرها أهل زمانه ولم يلتفتوا إليها، وهم قد يكونون معذورين في ذلك، حتى استطاعت الثورة المعرفية المعاصرة أن تصل إلى تلك الأفكار التي أكدت على أن ابن خلدون في حدود نظرية العمران كان سابق عصره. فلم تكن لفكرة العمران أي أهمية في عصر بن خلدون أو بالأحرى لم يستشعروا لها موضوعا، في حين أكسبها النسق المعرفي الحديث أهمية جعلتها أشبه بنظرية معاصرة جديدة، انبثقت في غير زمانها. أما ابن نبي، فقد كان مندمجا في عصره محتكا بمعطياته ومعبرا أمينا عن الذوق المعاصر، وربما قد يكون سابقا في نظراته لمشكلات مجاله على أهل مجاله.

كما كانت نظرات ابن خلدون تأملية محضة، تجاوزت النموذج المعرفي السائد، أي أنه حقق سبقا تاريخيا عالميا، بينما نظرات ابن نبي هي تأملية تستعين بمقولات ومفاهيم ومناهج ولغة أثمرها تاريخ المعرفة الاجتماعية الإنسانية، أي أنه كان سابقا ومتجاوزا لمجاله الخاص.

### 4 / لكن.. ألا تلاحظ أن الدول العربية قاطبة وبدون استثناء من سوريا إلى الجزائر لم تعر هذه النظريات أدنى اعتبار؟

نعم، بل تجاهلتها تماما، ولذلك حدثت الانتكاسات التي عرفتتها وتعرفها الكثير من الإيديولوجيات والحركات في الوطن العربي والإسلامي، وهو ما يستدعي أولاً إعادة نظر وثانياً إعادة صياغة لكثير من الأفكار التي حالت دون إعادة تحقيق العالم العربي والإسلامي لهضته المنشودة في ظل الحضارات المحيطة.

وإذا كانت معظم المحاولات السابقة بهذا الخصوص ليست إلا انعكاساً لأفكار جاءت من الخارج، فإن خصوصيات المجتمعات العربية والإسلامية تستدعي وضع نظرية تنموية تأخذ بعين الاعتبار جميع الجوانب النفسية والاجتماعية والاقتصادية، ويقليل من البحث سنجد أن الكثير من المنظرين العرب والمسلمين قد وضعوا أسساً لنظريات تنموية خاصة بالمجتمعات العربية والإسلامية، وإن كان بعضهم لم يهدف لذلك مباشرة، أما ابن خلدون وابن نبي فقد نهلا من منبع واحد وخصصا نظرية تنموية أكثر من غيرهما.

وزيادة في التوضيح نضرب مثلاً عملياً على ذلك، كثيرا ما استشهد به مالك بن نبي في مؤلفاته ومحاضراته، فقد قام العالم الاقتصادي الألماني شاخنت وهو من كبار اقتصاديي ما قبل الحرب العالمية الثانية بوضع الخطة الاقتصادية لألمانيا، فنهضت بها من الصفر مما مكنها من دخول الحرب العالمية الثانية، كما قام هذا العالم بوضع خطة اقتصادية للنهوض بالاقتصاد الأندونيسي وهي دولة أغنى وأكبر من ألمانيا بكثير من حيث الثروات الطبيعية والإمكانات البشرية، لكن خطته الاقتصادية فشلت، ولعل السبب يعود إلى أن شاخنت قد وضع خطته على أساس معادلة اجتماعية ونفسية وعقدية خاصة بالشعب الألماني، بينما لم تراع معادلته الخصائص الاجتماعية والنفسية والعقدية الخاصة بالمجتمع الأندونيسي.

مما سبق يظهر لنا أن أية نظرية تنموية مهما كان مصدرها لا تؤتي ثمارها إلا إذا وُضعت بناءً على الظروف العقدية والنفسية الاجتماعية الخاصة بالمجتمع التي تسود فيه، وهذا ما يعرف أيضاً بالارتباط العضوي ما بين النظرية وأسسها التي بنيت عليها، ولعل هذا يكون مفسراً لفشل معظم المحاولات التنموية السابقة في الدول العربية والإسلامية حيث أهمل دور الجوانب النفسية، ومن جهة أخرى فقد يكون مؤشراً لعدم نجاح أية محاولات

أخرى مستقبلاً إذا ما تمت صياغتها بنفس طريقة سابقاتها، مما يستدعي إيجاد البديل، وهو في نظري قائم على ضرورة أن تجمع النظرية التنموية البديلة بين المادة والروح دون الفصل بينهما.

## 5 / كيف توصل ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع إلى نظرية اقتصادية في التنمية التي ظهر أبرز روادها الغربيين في أربعينيات القرن العشرين؟

حتى مالك بن نبي فضلا عن عبد الرحمن بن خلدون لم يتخصص لا في علم الاجتماع ولا في العلوم الاقتصادية، فقد كان مهندساً كهربائياً سرعان ما اشتغل فكرياً بالبناء الحضاري والنهضة الشاملة.. لكن مساهمتهما كانت كبيرة جداً.

ومن الضروري في هذا الصدد الإشارة إلى أن لفظ التنمية الاقتصادية بوصفها جزءاً أساسياً من التنمية الشاملة غير مستخدم لدى هذين المفكرين، فابن خلدون مثلاً استخدم لفظ العمارة، بينما استخدم ابن نبي مصطلح النهضة تعبيراً منهما عن التنمية، وقد ظهر جلياً محدودية الأفكار المستوردة من الغرب والشرق (أوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي، ودول المعسكر الاشتراكي).

لقد اشتهر ابن خلدون بكتابه المقدمة لأنه اختصه بعلم لم يسبقه إليها أحد، فدرس أحوال الناس والأمم وتمعن في اختلاف أحوالهم من حال إلى حال وهذا ما يقابل الدورات الاقتصادية (في أيامنا) فحلل وتقصى وقدم نتائج سباقه ومبدعة.

اختصر ابن خلدون دورة الحضارة في كلماته التالية: "إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، وإنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول"، لذلك فإن للدولة حسب ابن خلدون خمسة أطوار هي: التأسيس، الانفراد بالملك، الفراغ والدعة، القنوع والمسالمة، وأخيراً الإسراف والتبذير.

وتتلخص نظريته في العمران بالعناصر الآتية:

1. الإنسان مدني بطبعه، لذلك لا بد من أن يصنع مجتمعاً يجري في نطاقه التعاون لإنتاج القوت الذي يهيئ له العيش والأدوات التي تهيئ له أسباب الدفاع عن حياته، وإلا انتفى وجوده ولم يحقق مراد الله في إعمار الكون الذي استخلفه فيه.
2. العمران البدوي هو أصل العمران الحضري، ولكل من المجتمعين ألوان من العادات والسلوك وأنماط حياة تفرضها طبيعة كل منهما. وهي أكثر قابلية للتطور في المجتمع الحضري مما يؤدي إلى قمة العمران ثم ما يتبع ذلك من تقلص وانحسار في أحقاب زمنية متلاحقة متكررة تكاد تكون قانوناً ثابتاً.
3. العمران والصنائع: لا يتم العمران ويرتقي إلا بوجود الصنائع المتمثلة في الفلاحة والصناعة والتجارة، فعليها جميعاً يتوقف رخاء المجتمع ورفاهيته. وكلما ارتقت الصناعة، وراجت التجارة، وعم الرخاء وانتعش الاقتصاد كان لذلك أثراً في رفاهية المجتمع ورفاهيته وبلوغه مراحل الترف والنعيم.
4. العلم والتعليم أمران أساسيان مرتبطان بالعمران إيجاباً أو سلباً، فحيث يزدهر العمران تكاد تكون سوق العلم نافقة، فإذا لم يتوفر العلم في المجتمع صارت الرحلة في طلبه أمراً ضرورياً، ومن ثم فحيث يزدهر العلم يرتقي العمران، والعكس صحيح.
5. حسن اختيار مواقع المدن والأمصار ضروري لاستدامة العمران، وذلك من حيث المنعة وسهولة الدفاع عنها، ومن حيث توفر الخيرات وكثرة الأرزاق كالقرب من الماء العذب، وضمان المراعي للسائمة ومراعاة وجود المزارع حولها لتزويدها بأنواع الطعام.

## 7 / بناء على ذلك، وقبل الانتقال إلى ابن نبي، ما هي معالم وأبعاد نظرية التنمية عند ابن خلدون؟

يمكننا انطلاقاً من أفكار ابن خلدون الوصول إلى أهم معالم النظرية التنموية، متمثلة في الإلحاح على أن الحياة مربوطة "بالأرض"، وهذا فيما يخص تاريخية هذه الحياة وأسس انطلاقتها، مع الإقرار أنه قد يحصل (شبه) استقلال عن الأرض في الحياة المدنية التي تعتمد كثيراً على اختراعات الإنسان، والتأكيد على أن العمل الإنساني هو (تقريباً) مصدر كل المعاش، وأنه لا معنى للخيرات الأرضية دون عمل إنساني.

## 8 / هل هناك فعلا نظرية تنموية واقعية عند مالك بن نبي قابلة للتطبيق في الجزائر والدول العربية؟

طبعاً، فقد كان مالك بن نبي ولا يزال يمثل تعبيراً عن رؤية منهجية واضحة، فضلاً عن كونه مفكراً معرفياً أدرك أزمة الأمة الفكرية، فوضع مبضعه على أسس الداء، وهو بنيتها المعرفية والمنهجية، إنه (دون شك) واحد من أهم رواد مدرسة "إسلامية المعرفة" ومصلحي مناهج الفكر، ولا تزال مفاتيحه تملك قدرة توليدية في مجال المفاهيم والمنابع والعمارة الحضارية بكل امتداداتها وتنوعاتها، فقد رأى أن كل حضارة تمر عبر ثلاث مراحل: النهوض ثم الانعطاف وأخيراً الانحطاط. ففي مرحلة النهوض يبدأ بزوغ فكرة دينية تقوم بتركيب عناصر الحضارة، وتنظم الطاقة الحيوية للأفراد لتثير فيهم الحركة والنشاط بحيث يتحرر الفرد في هذه المرحلة الصاعدة من هيمنة الغريزة ويخضع لهيمنة الروح، وفي هذه المرحلة تصل "شبكة العلاقات الاجتماعية" إلى قمة كثافتها فيصبح المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

أما في مرحلة الانعطاف أو العقلانية فتنعطف فيها الحضارة بسبب المشكلات المادية الناتجة عن توسع المجتمع الوليد منعطفاً تكف فيه الروح عن السيطرة المطلقة على الغرائز، ويبدأ عهد العقل، وتمثل هذه المرحلة منعطفاً للعقل، إذ تنقص فيها الفاعلية الاجتماعية للفكرة الدينية، وإن كانت الحضارة نفسها تبلغ أوجها فتزدهر العلوم والفنون فيها، ولكن مرضاً اجتماعياً يكون قد بدأ وإن تكن آثاره المحسوسة لم تظهر بعد، إن الطبيعة تستعيد سيطرتها على المجتمع والفرد شيئاً فشيئاً.

غير أن مرحلة الانحطاط والانحلال ستشهد غياباً تاماً لكل مظاهر القوة، حيث لا يعود للفكرة الدينية فيها أية وظيفة اجتماعية، وتعود الأشياء كما كانت في مجتمع منحل، فتتفكك شبكة العلاقات الاجتماعية بانحلال المجتمع إلى ذرات لا روابط بينها وتنتهي بهذا دورة الحضارة، إذ يرى ابن نبي في هذا الصدد أن كل الحضارات الإنسانية خضعت لنفس هذا القانون الدوري المتحكم الذي تخضع له الحضارة الإسلامية بدورها.

لذلك يمكن ارتكازاً على ما سبق تسطير معالم النظرية التنموية عند ابن نبي من خلال إمعانه في النظر بمشكلات التخلف المزمنة متجاوزاً الظواهر الطافية على السطوح إلى الجذور المتغلغلة في الأعماق، وباحثاً عن السنن والقوانين الكفيلة بتحول الشعوب من حالة العجز إلى القدرة والفعالية، ومن مشكلة الاستعمار إلى مرض القابلية للاستعمار، ومن حالة تكديس الأشياء إلى حالة البناء، ومن المطالبة بالحقوق إلى القيام بالواجب أولاً، والانتقال من عالم الأشياء والأشخاص إلى عالم الأفكار التي بها نبدأ بحل مشكلة التخلف، ويجب أن نصل إلى قناعة حتمية بأن مفاتيح حل المشكلات هي في الذات لا عند الآخر.

إن مشكلة النهضة حسب ابن نبي تتحلل إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، ومشكلة التراب، ومشكلة الوقت، فلا تُكس المنتجات لبناء نهضة، بل بحل هذه المشكلات الثلاث من أساسها.

فابن نبي أقرّ بأن مشكلة الحضارة أو التنمية بمفهومنا الحالي لا تُحل باستيراد منتجات حضارية موجودة، بل تستوجب حل مشكلاتها الجزئية. ثم عبّر عن كل منتج حضاري بالمعادلة:

منتج حضاري = إنسان + تراب + وقت  
وانتهى بالمعادلة: حضارة = إنسان + تراب + وقت

والمعادلة لا تكون صحيحة حسب ابن نبي إلا بتوافر مجموعة من الشروط أهمها الدين الذي يعتبر محرك الإنسان الذي هو بدوره جزء أساسي من المعادلة، والتاريخ الذي يمكن اعتباره مخبراً للتجارب الاجتماعية، وإعادة صياغة معادلة الحضارة بإدخال المحرك الأساسي (العامل الديني)، تصبح كما يلي: حضارة = (إنسان + تراب + وقت) × العامل الديني

وانطلاقاً من هذه المعادلة، يتضح لنا أن المنتج الحضاري لأي شعب من الشعوب هو المادة الأولى التي يقوم عليها استمراره وأمنه القومي، ويقدر ما يملك من طاقة بشرية فاعلة وإرادة طبيعية للبقاء وقدرة على تفاعل المنتج الحضاري وامتزاجه بعقيدة راسخة تضمن تماسكه ووفرة عطائه، ويقدر ما يكون منتجه الحضاري أكثر وفرة وأدعى إلى البقاء والتماسك سينعكس في تحقق الأمن والاستقرار، وبذلك يتحقق الاستثمار وينبني العمران ويعمر.

وإذا كان من بين أهداف التنمية الشاملة القضاء على التبعية للغير، فلا شك أن الامتثال لما أشار إليه بن نبي سيحقق نهضة عربية وإسلامية حقيقية تضمن أمناً غذائياً على أقل تقدير. وهذا أمر مفهوم إذا ما أدركنا أن أي شعب من الشعوب ما دام تابعاً لغيره غير مستقل فإن نماءه واستقراره تابع لذلك الغير، وما دام استيراد المنتج الحضاري كما يشير بن نبي لا ينتج حضارة، وإنما ينتج ترفاً متبوعاً بإفراط أو تفريط وبالتالي فإن نتيجته تخمة اليوم ومخمة غداً.

## 9 / لماذا ركز ابن نبي كثيراً على محوريتين ومرجعيتين الإسلام في البناء الحضاري والتنمية الحقيقية الذاتية؟

إن التحدي الذي يواجه الأمة اليوم ذو جانبين يتعلق الأول بالوعي والقناعة أن الأفكار السابقة التي نجحت في بلدانها أوروبا وأمريكا أو اليابان لن تنجح بنفس القوة عند تطبيقها خارج بلدانها، خاصة وأن استيراد المنتج الحضاري لا ينتج حضارة، أما التحدي الثاني فيخص العمل على الاستفادة من المنتجات الحضارية الغربية، ببناء الإنسان الواعي الحامل لهما أمتهم، وتوفير الشروط الملائمة لاستغلال الأراضي والاستفادة منها (بالزراعة والاستصلاح)، واستثمار الزمن.

ويبقى العامل المحرك للعناصر الثلاثة هو العامل الديني، إذ وضع ابن نبي معادلة رياضية للتنمية أو للحضارة، ولذلك لن تستقيم أمور البشرية عموماً إذا أغفلت الجوانب النفسية والأخلاقية والاجتماعية والعقدية، والعنصر الجامع لتلك الجوانب هو الدين.

## 10 / ما هي أبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة؟

إن النتائج التي وصلنا إليها انطلاقاً من فكر ابن نبي بخصوص النظرية التنموية، تمكننا من وضع الأسس التي أقامها ابن نبي لبناء نظريته التنموية:

1. تعني التنمية عند ابن نبي "توفر مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقسم لكل فرد من أفراده وفي كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه".
2. يتطلب تحقيق التنمية أن "يرتفع الشعب بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وأن يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها".
3. العناصر الضرورية التي يمكن انطلاقاً منها الحديث عن أي مشروع تنموي هي: الإنسان والتراب والوقت، كل هذا في إطار الدافع الديني.
4. الحضارة كأحسن تعبير عن التنمية أو كنتيجة لها هي إبداع وتميز وليست تقليداً وتبعية.

5. الحضارة هي التي تلد منتجاتها وليس العكس.

## 11 / كيف يمكن للجزائر وسوريا وكل الدول العربية الاستفادة من دورة الحضارة في مواجهة تحديات التنمية؟

إذا كان تحقيق التنمية انطلاقاً من أفكار ابن خلدون وابن نبي فلا بد أن من مراعاة الشروط المرافقة لها، ولعل من أهمها ما أشار إليه ابن نبي، وهو تتبع حركة التاريخ أي دورة الحضارة، وفي هذه الحالة ينبغي أخذ المتغيرات الدولية كالعولمة وتحرير التجارة بعين الاعتبار.

يقول د. مهاتير محمد رئيس الوزراء الماليزي في كتابه "ماليزيا: منظور خطة التنمية": "إن ماليزيا تدخل مرحلة أخرى هامة على مسار التنمية وضعت خلالها سياسات تتناسب مع التغيرات العالمية مثل العولمة وتحرير التجارة والتقدم التكنولوجي في مجال المعلومات والاتصالات لأن الدول التي تستطيع مواجهة تلك التحديات هي التي تستطيع إحراز مزيد من التقدم والرخاء بين الدول التي تحقق في ذلك فإنها سوف تتخلف عن ركب التنمية".

وكنتيجة، فقد اتضح بما لا يدع مجالاً للشك أن النظرية التنموية عند كل من عبد الرحمن بن خلدون وابن نبي تنبعان من مصدر واحد وتصبان في النهاية في مصب واحد. فمنبعها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومصبتها إعمار الأرض بالأخلاق الحميدة التي تكفل كرامة البشر وبنائها بالعمارة والمدنية لتحقيق التنمية الحقيقية والواقعية أخذاً بعين الاعتبار خصوصية المجتمعات الإسلامية. وهذا يجعلنا نقر بأنه لبناء نهضة عربية إسلامية لا بد من الاستزادة في دراسة أفكارهما أكثر ومحاولة تطبيقها في الواقع تحقيقاً لهذه الغاية مع الأخذ بالاعتبار المتغيرات والمستجدات التي طرأت وتطراً على عالمنا.

## 12 / لكن كيف يمكن الاستفادة من دورة الحضارة هذه لتحقيق تنمية مستدامة للمجتمعات الإسلامية؟

لا بد أن يستوعب المسلمون سنن الله الثابتة في الكون التي يخضع لها الأفراد والجماعات؛ لأنهم بهذا الاستيعاب يخرجون مما هم عليه الآن من سبات حضاري لتتحول حركتهم ضمن تاريخ البشرية إلى حركة ثابتة هادفة بدل أن من كونها حركة عشوائية تحكمها الصدفة، وتوجهها الأهواء الفردية والنزوات الشخصية. "فإذا ما حددنا مكاننا من دورة التاريخ، سهل علينا أن نعرف عوامل النهضة أو السقوط في حياتنا، ولعل أعظم زيفنا وتنكبنا عن طريق التاريخ أننا نجهل النقطة التي منها نبدأ تاريخنا، ولعل أكبر أخطاء القادة أنهم يسقطون من حسابهم هذه الملاحظة الاجتماعية، ومن هنا تبدأ الكارثة، ويخرج قطارنا عن طريقه؛ حيث يسير خبط عشواء".

## 13 / هل من كلمة أخيرة لقراء الشهاب؟

شكراً للشهاب على الاهتمام بمالك بن نبي، وعلى تغطية مثل هذه الملتقيات العلمية الأكاديمية الجادة، وشكراً للجزائر المضيافة، وشكراً على الحوار، وأرجو التواصل على موقعي الإلكتروني الخاص:

WWW.KANTAKJI.COM

<http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid=1596>